فتحدث به متعجبا من قايله او متشاكى امره ومنهم من اكذب به ابتعد فقال سبحانه
وتعالى مستانفا محرضا **لولا** اي هلا ولم لا **اذ** اي حين **سمعتموه** ايها
المدعون للايمان **ظن المومنون** اي منكم **والمومنات** وكان الاصل ظننتم اي ايها
العصبة ولكنه التفت الى الغيبة تنبيها على التوبيخ وصرح بالنساء ونبه على
الوصف المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي ظن السوء من سوء الخاتمة **بانفسهم**
حقيقة **خيرا** وهم دون من كذب عليها فقطعوا ببراءتها لان الانسان لا يظن
في الناس الا ما هو متصف به او باخوانهم لان المومنين كالجسد الواحد وذلك
نحو ما يروى اذ ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو
كنت بدل صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال
لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعايشة خير مني وصفوان خير منك **وقالوا هذا افك مبين** اي كذب مبين
فان قيل هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل
عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر اجيب بان ذلك مبالغة في
التوبيخ على طريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دالا على ان الاشتراك فيه
مقتضي ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول غايب ولا طاعن
وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على
الظن لا على الشك وان يقول على ما فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك
مبين هكذا اللفظ المصرح ببراءة ساحته لا يقول كما يقول المستيقن المطلع
على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له
وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه ثم علل ذلك
سبحانه وتعالى ان كذب الافكين ان قال موبخا لمن اختلقه واذاعه ملقنا
لمريد بيان الظن الخير **لولا** اي هلا ولم لا **جاءوا عليه باربعة شهداء** كما تقدم ان
القذف لا يباح الا بها **فاذ** اي حين **لم ياتوا بالشهداء** اي الموصوفين
**فاولئك** اي البعداء من الصواب **عند الله هم الكاذبون** قد جعل الله
التفصلة بين الرمي الصادق والرمي الكاذب بثبوت شهادة الشهود
الاربعة وانتفائها والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت
عليهم الحجة وكانوا عند الله في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف
للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو
ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة في التنكيل
به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المومنين الصديقة
بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب رب
العالمين ولما بين الله سبحانه وتعالى الدليل على كذب الخايضين في هذا الكلام
وانهم استحقوا الملام قال عاطفا على لولا الماضية التي للتحضيض **ولولا**

الى



لامتناع الشيء لوجود غيره **فضل الله** اي المحيط بصفات الكمال **عليكم ورحمته**
اي معاملته لكم بمزيد الانعام والاكرام اللازم للرحمة **في الدنيا** بقبول التوبة
والمعاملة بالحلم **والاخرة** بالعفو عن من يريد ان يعفو عنه منكم **لمسكم** اي
عاجلكم **فيما افضتم** اي ايها العصبة اي خضتم **فيه** من حديث الافك
**عذاب عظيم** اي يحتقر معه اللوم والجلد فاما لم في الرسم منطوعة
من ما كما ترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب وزمان تعجله بقوله تعالى **اذ** اي
مسكم حين **تلقونه** اي تجتهدون في تلقي اي قبول هذا الكلام الفاحش
القايل **بالسنتكم** اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم
يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض
وحذف من الفعل احدى التايين **وتقولون بافواهكم** اي كلاما مختصا بالافواه
فهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن ارتسامه في القلب بنوع دليل واكد
هذا المعنى بقوله تعالى **ما ليس لكم به علم** اي بوجه من الوجوه وتنكيره للتحقير
فان قيل القول لا يكون الا بالفم فما معنى قوله تعالى بافواهكم اجيب بان معناه ان الشيء المعلوم
يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وليس هذا الافك ليس الا قولا يجري على
السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه** بدليل سكوتكم عن انكاره **هينا**
اي لا اثم فيه **وهو** اي والحال انه **عند الله** اي الذي لا يبلغ احد مقدار عظمته
**عظيم** في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة اثام مرتبة علق بها مس
العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغار
لذلك وهو عند الله عظيم **ولولا** اي وهلا ولم لا **اذ** اي حين **سمعتموه**
**قلتم** من غير توقف ولا تلعثم **ما يكون** اي ما يمكن ما ينبغي وما يصح **لنا**
**ان نتكلم بهذا** اي القول المخصوص ويجوز ان تكون الاشارة الى نوعه
فان قذف احاد الناس محرم فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لصحبة اكمل الخلق
فان قيل كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم اجيب بان الظروف تنزل من الشيء
منزلة نفسه لوقوعه فيها وانها لا انفكاك له عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
في غيرها فان قيل اي فايدة في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا اجيب بان الفايدة
فيه بيان ان الواجب عليهم ان يتداركوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان
ذكر الوقت اهم وجب التقديم فان قيل ما معنى يكون والكلام بدونه متلئم لو قيل
ما لنا ان نتكلم بهذا اجيب بان معناه ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بها
وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقوله
تعالى **سبحانك** تعجب من ان يخطر ذلك بالبال في حال من الاحوال فان قيل ما معنى
التعجب في كلمة التسبيح اجيب بان الاصل في ذلك ان يسبح الله تعالى
عند رؤية التعجب في صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه وقيل تنزيه

Copyright © King Saud University